



سوتشي، في الاسم، تدرج من مؤتمر الشعوب السورية إلى مؤتمر حميميم، وأخيراً الرسو على تسمية "مؤتمر سوتشي للحوار الوطني". ارتباك وسوء تقدير وصل في مقاربة كارثة قارب امتدادها سبعة أعوام.

في الدعوة والمدعون إلى "سوتشي"، رفض من يريد مناقشة رأس المنظومة التي تسببت بالكارثة، والقبول بعضاوية ألف وسبعمائة من كل مكونات وأطياف "الشعوب" السورية الحكومية و"المعارضة".

في الهدف من سوتشي "حل سياسي" مبني على تشكيل لجان لمناقشة الدستور، وأخرى لمناقشة الانتخابات؛ وتغييب أي نقاش لعملية أو محور أو "سلة" الانتقال السياسي التي نصت عليها القرارات الدولية.

في الجهة المنظمة، وزارة الدفاع الروسية، لا الرئاسة، ولا وزارة الخارجية الروسية، ربما للاعتقاد أن وزارة الدفاع التي "أنجزت" عسكرياً يمكنها إكمال المشوار الروسي في سوريا و"جلب السلام" بأدوات الحرب، كما جلت "النصر" للرئيس بوتين على "الإرهاب السوري". وبذا يمكن إعطاء بوتين حقنة قوة جديدة في عيون الروس وعيون العالم "مخالصاً لسوريا من الإرهاب، وحللاً لمشكلات العالم، ومحقاً للمصالح الروسية في الساحات العالمية".

حتى ولو تم إقرار اسم "مؤتمر الحوار الوطني" لما يُزمع عقده في سوتشي، إلا أن الاسم الأول الذي أطلقه بوتين يعكس موقفه وسياساته ورؤيته لسوريا وللسوريين. هم بالنسبة له ليسوا إلا كتلاً بشرية تشبه "شعوب الاتحاد السوفييتي" مستلب الإرادة والمستباح، والذي كان يدور في فلك الإمبراطورية السوفيتية. من هنا، علينا تصور أي فعل أو قرار أو إرادة لهؤلاء الذين سيوجدون إحضارياً في سوتشي؛ وهل سيكون بإمكانهم طرح أي مسألة مخالفة لما يريده مالك أمرهم. ومن هنا أنت صراحة لافتنتيف، المبعوث الخاص للسيد بوتين؛ عندما قال "من يريد مناقشة مصير الأسد أو عملية انتقال سياسي في سوريا، ليس مرحباً به في سوتشي". المفارقة في هذه المسألة تتمثل بالاستكانة لإرادة الاحتلال والانسحاق أمامها؛ فهناك من يتوسط ويقبل الأيدي ليكون له حضور في مؤتمر سوتشي؛ وهناك من تشكّل مخابرات النظام الأسدية ليكون حاضراً،

وهناك تجار سياسة ودم وأزمات يستقلون ليكونوا موجودين. والكل يعلم، أو لا يعلم، أن للوجود هناك غاية واحدة، تمثل بشرعنة الاحتلال والاستبداد، بتفاوت مطلق من أي قرار أو شرعية دولية. والأدهى أكثر ذلك الحديث الروسي عن "الاستفادة من مخرجات سوتشي في خدمة مسار جنيف"، تماماً كما حدث في "أستانا"، ومسرحيات خفض التصعيد الروسية؛ والتي أعطت خلالها روسيا مئات الوعود بالشؤون الإنسانية: المعتقلين، رفع الحصار، إيصال الإغاثة؛ ولم ينفذ منها شيء.

حتى تكتمل المسرحية الدموية السوتشية، لا يتردد ممثلو بوتين في بث الأكاذيب من أن الأمم المتحدة تبارك الخطوة الروسية في سوتشي؛ فهذا لافرانتييف، مبعوث بوتين، يطلق تصريحاً في آخر يومي "أستانا" 8 إن المبعوث الدولي الخاص إلى سوريا، ستيفان دي ميستورا، سيحضر سوتشي؛ وليسارع أحد معاونيه لإبلاغ كاتب هذه السطور بأن المبعوث الدولي لم يعبر عن استعداده للحضور أو غير ذلك، كما روى لافرانتييف.

إضافة إلى كل ما سبق، تبقى إحدى أهم عُقد عَقد مؤتمر سوتشي في الذين اعتبرتهم موسكو ضامنين في "أستانا"، حيث كان الإعلان الرسمي عن "سوتشي"، مراهنة على أن الضامن التركي سيؤمن لها حضور الفصائل التي ضمنتها؛ لكنها لم تعبأ بالشروط التي يمكن أن تضعها تركيا مقابل تيسير المطلب الروسي؛ وتحديداً "الفيتو" الذي تضعه تركيا على إشراك حزب الاتحاد الوطني (الكردي) في سوتشي. وهنا لم يف إغراء الشركاء الضامنين إعطاؤهم أفضليّة تقديم قوائم حضور لمؤتمراً، فبدأت عمليات الابتزاز المتبادل، والذي وجد ترجمته في عرقلة اتفاقية خفض التصعيد في إدلب، والدور الإيراني المتباهي الذي لعبته إيران في نسف الاتفاق؛ ليتبين أن المراهنة الروسية في أستانة تكاد تكون تلغيمًا لمؤتمر سوتشي ذاته.

رافق القلق والتوتر الروسي تجاه مؤتمرها إرباك عكسته التصريحات الروسية تجاه الموقف الأميركي منه؛ حيث إن روسيا تعرف تماماً أن أي ملمح إيجابي الأميركي تجاه سوتشي، ينجهه؛ إلا أن موسكو كانت تستشعر السلبية الأميركيّة تجاه خطوطها؛ فاستبقتها بتحديد "دور مراقب" لأميركا من باب "التكبر على المتكبر"، حيث إنه لا يُتوقع من أميركا أن تكون مغرومة بتحقيق روسيا أي نجاح، ولو خلبياً؛ إلا إذا كان يخدم أغراضها؛ وهو ليس كذلك.

أوروبا المتمسكة بالقرارات الدولية بخصوص سوريا، والداعمة جهود المبعوث الدولي في جنيف، لن تكون مسورة، وهي ترى روسيا تدعس على القرارات الدولية؛ وتتفزف فوقها أو تلتقط عليها.

أخيراً، تبقى عقدة العقد أمام المشروع الروسي موقف ما تسمى المعارضة الرسمية بعد مؤتمر الرياض 2، وبعد وفدي واحد في جنيف 8، وبعد أداء ممّيّز في تلك الجولة؛ أداء شاهده العالم، ولم يتمكن المبعوث الدولي إلا أن يشيد به أمام مجلس الأمن والعالم. شكلت هذه المعارضة عقدة لموسكو التي تفنت بمحاولات نسف مصداقيتها، ولا تنفك عن القيام بذلك، عبر وصفها أخيراً بالتعنت والراديكالية، وتحدث عن ضرورة غربلة بعض الأشخاص منها آملةً ببعثرتها. ولكن موسكو، بغفلة أو تناقضٍ، تتجاهل المد الشعبي السوري الراهن لمشروعها في سوتشي، والذي لا يمكن لهيئة التفاوض أن تتفزّع عنه؛ فهو وحركتها الدبلوماسية الدولية ما يمدّها بالموقف القوي الذي لا تستطيع موسكو نسفه، حتى ولو عادت إلى عنفٍ غير مسبوق في الغوطة والشمال السوري.

في صيفته الحالية، سوتشي تجمع "مصالحه" مكّبّر مهين للسوريين وحقوقهم؛ يحاول القفز على القرارات الدولية؛ تحول دون نجاحه جملةً من التعقيدات، تتقدمها منهجية روسيا العسكرية في مقاربة القضية السورية في إيجاد حل سلمي لسوريا، يمكنّ بوتين من القول إنه أجز سياسيّاً، وهذا غير ممكّن. مصير الخطوة الروسية إما التأجّيل والتفكير بكل ما سبق، وجعله فعلاً مساهماً بحل سياسيّ، لا يشترط عدم مناقشة مصير الأسد، والانتقال السياسي، وتشكيل لجان فاعلة لإنجاز ذلك، أو الانعقاد كذراع واهية، تدور في فراغٍ بلا قيمة أو تأثير قد تساهم بتعقيد الأمور أمام روسيا أكثر، وتحرمها من فرصة أي جنسيّ؛ فلا يمكن لروسيا ادعاء نيل الجنّي العسكري، وشرف الإنجاز السياسي بالأدوات ذاتها.

المصادر:

العربي الجديد